مخطوطة الدعاء بأسماء سور القرآن الكريم

قراءة عقدية نقدية في الأحراز والغلو الصوفي

د. دعاء أحمد - مصر

تمهيد

تبدو رسالة **(الدعاء بأسماء سور القرآن الكريم)** في ظاهرها دعاءً منظومًا يجمع أسماء سور القرآن في سياق الثناء على الله ورسوله. غير أن قراءتها كاملة تكشف أنها تتجاوز الدعاء إلى تكوين **حرز صوفي** تنسب إليه آثار مخصوصة، مثل شفاء الأمراض، وإبطال السحر، وتيسير الزواج والولادة، وعقد ألسنة الخصوم، وجلب المحبة، وحفظ المسافر والتاجر، وتوسعة الرزق، وفكّ أسر المسجون.

كما تمزج الرسالة بين أسماء السور، والتوسل بالأشخاص والأمكنة والأزمنة، والحروف المقطعة، وألفاظ غامضة تستخدم في كتب العزائم والطلاسم. ثم تقدم تعليمات لتعليق الحرز ووضعه على الجسد أو الطعام أو متاع المسافر والتاجر.

ومن ثم فهي ليست مجرد قصيدة دينية، بل وثيقة تعكس اختلاط الدعاء بالتمائم، والرقية بالطلاسم، وتعظيم القرآن باستعمالات لم يدل عليها الشرع.

بطاقة تعريفية بالرسالة

العنوان: الدعاء بأسماء سور القرآن الكريم.

موضوعها الظاهر: نظم أسماء سور القرآن في قصيدة دعائية.

موضوعها الفعلي: حرز يجمع بين الدعاء والرقية والتوسل والعزائم، وينسب إلى أسماء السور والحروف خواص في الشفاء والحفظ وجلب المنافع ودفع المضار.

جاءت الرسالة الثامنة ضمن مجموعة (رسائل صوفية مخطوطة)، وتقع في نحو عشر صفحات. وتصف خاتمتها النص بأنه (الحرز المبارك)، مع الإشارة إلى انتهاء نسخ إحدى نسخه سنة ١٢٣٥هـ. ولا تقدم دراسة كافية لأصل الرسالة أو تاريخ تأليفها، كما لا تميز بوضوح بين صاحب النظم وناسخ النسخة. ولذلك فالمتاح نص مطبوع عن أصل خطي، لا تحقيق أكاديمي مستوفٍ لقواعد دراسة المخطوطات.

مضمون الرسالة

تبدأ الرسالة بالبسملة والصلاة على النبي ﷺ، ثم الثناء على الله بأوصاف الخلق والعلم والقدرة والتدبير، وسؤاله الحفظ والشفاء والرزق.

بعد ذلك يمر الناظم على أسماء سور القرآن بحسب ترتيبها تقريبًا، لكنه يربط أسماء بعض السور بحاجات معينة، فيجعل:

- الفتح سببًا للنصر.
- الشرح لتيسير الولادة.
- الطلاق لإطلاق الأسير.
- قريش لحفظ الطعام.
- الفلق لعقد لسان الخصم.
- يس لتيسير المطالب.
- الحروف المقطعة للحماية من الأعداء.

ولا يقوم هذا الربط على تفسير السور أو تدبر معانيها، وإنما على التشابه اللفظي بين اسم السورة والحاجة المطلوبة، وكأن أسماء السور رموز لها قوى خاصة.

ثم ينتقل النظم إلى التوسل بالأنبياء والنبي ﷺ والصحابة وآل البيت، وبالكعبة والحجر ومقام إبراهيم والعرش والكرسي ورمضان وليلة القدر وأيام الحج.

وفي القسم الأخير تتحول القصيدة إلى دليل عملي لاستعمال الحرز؛ فيوضع على رأس الطفل، ويعلق في شعر المرأة التي تأخر زواجها، ويوضع على جبين المصروع أو أنف المصاب بالرعاف، ويحمل في السفر والتجارة وعند الخوف من السلطان.

ما في الرسالة من معانٍ صحيحة

تحتوي الرسالة على بعض المعاني الصحيحة، منها:

- أن الله هو الخالق المدبر.
- أن النفع والضر والشفاء بيده.
- سؤال الله الرزق والعافية والحفظ.
- الصلاة على النبي ﷺ.
- ذكر الأنبياء والصحابة بالخير.
- الاستعاذة بالله من الشيطان والحسد والسحر.

كما أن الاستشفاء بالقرآن والرقية بالأدعية المشروعة أمر ثابت، بشرط أن تكون الرقية معلومة المعنى وخالية من الشرك والطلاسم.

لكن وجود هذه المعاني لا يصحح ما خلط بها من تمائم وتوسلات محدثة وخواص غيبية وألفاظ مجهولة؛ إذ قد

يجتمع في النص الواحد الحق والباطل، ولا تكتسب العبارة المنكرة المشروعية لمجرد مجاورتها للآيات والأذكار.

مواطن الخلل العقدي والغلو الصوفي

١- تحويل القرآن إلى طلاسم: أخطر ما في الرسالة أنها تنقل القرآن من كونه كتاب هداية وتشريع وتزكية إلى أداة تستخدم أسماء سوره وحروفه لتحقيق آثار غيبية. فالسور لا تستحضر لتدبر معانيها والعمل بأحكامها، بل توظف أسماؤها كما توظف الرموز في الأحراز، دون دليل يثبت أن اسم كل سورة سبب مخصوص للنصر أو الزواج أو الرزق أو إطلاق الأسير. وتعظيم القرآن لا يكون بتحويله إلى تعويذة، وإنما بفهمه واتباعه وتلاوته والاستشفاء المشروع به.

٢- ادعاء خواص لم تثبت: تنسب الرسالة إلى الحرز قدرته على علاج الصرع والحمى والسحر والرعاف وتعسر الولادة، وعلى جلب الخطّاب للمرأة، وتأمين المسافر، ومباركة التجارة، وتوسعة الرزق، وعقد ألسنة الخصوم. ولا تقدم هذه النتائج على أنها دعاء يرجى قبوله، بل على صورة أسباب مضمونة مرتبطة بحمل الورقة أو تعليقها. وهذا هو أصل التمائم؛ إذ يعلق الإنسان شيئًا ويعتقد أنه سبب للحفظ والشفاء بلا دليل شرعي أو حسي.

فإن اعتقد أن الحرز يؤثر بذاته كان ذلك من الشرك الأكبر، وإن اعتقد أن الله هو المؤثر، لكنه جعل الحرز سببًا بلا دليل، كان من الشرك الأصغر ووسائله.

٣- الغلو في النبي ﷺ: جاء في الرسالة:

ولولاه ما كنا ولولاه لم يكن لها فلك يجري ولا كوكب دري

وهذا غلو ظاهر؛ إذ يجعل وجود البشر والأفلاك والكواكب متوقفًا على وجود النبي ﷺ، وهو معنى لا يثبت بالكتاب أو السنة الصحيحة. والنبي ﷺ سيد ولد آدم، وخاتم الرسل، لكن تعظيمه لا يكون بنسبة دعاوى كونية إليه. وقد نهى بنفسه عن الغلو فيه كما غلت النصارى في المسيح.

وهذه العبارات تمثل أصلًا متكررًا في بعض المدائح الصوفية التي تَنسب إلى النبي أو الأولياء التصرف في الكون أو المدد الشامل، وتعد ذلك من المحبة، مع أن المحبة الشرعية لا تتجاوز حدود العبودية.

٤ - تضخيم الوسائط في الدعاء: تكثر الرسالة من السؤال بجاه الأنبياء وحق النبي والصحابة وآل البيت، ثم بالكعبة والحجر والأزمنة والأعياد. وهذا يعكس تصورًا يجعل بين العبد وربه سلسلة طويلة من الوسائط، مع أن المشروع والأكمل أن يدعو المسلم الله مباشرة بأسمائه وصفاته، وأن يتوسل إليه بإيمانه وعمله الصالح.

وهذا التوسع يمهد للانتقال من سؤال الله بجاه الولي إلى سؤال الولي نفسه والاستغاثة به، وهي صورة ظاهرة في بعض الطرق الصوفية المعاصرة.

٥ - الألفاظ الغامضة: تحتوي الرسالة على ألفاظ مثل: «أهيا شراهيا"، «أدوناي صباوت»، «آل شداي»، وعادة تستخدم مثل هذه الألفاظ في سياق إبطال السحر والحماية من الأعداء، دون تفسير واضح لمعانيها أو دليل على مشروعيتها.

والرقية الشرعية يجب أن تكون معلومة المعنى وخالية من الطلاسم، لأن الألفاظ الغامضة قد تشتمل على أقسام أو استعانات محرمة لا يعرفها القارئ. ولا يكفي الادعاء بأن بعض هذه الكلمات أسماء لله بلغات أخرى؛ لأن المشكلة ليست في الترجمة وحدها، وإنما في إدخالها ضمن عزيمة تنسب إليها قوى خاصة.

٦- توظيف الحروف المقطعة: تستخدم الرسالة حروفًا مثل (كهيعص، حم، عسق) باعتبارها صيغًا للحماية من المكر والشرور. وهذه الحروف آيات من القرآن تتلى كما أنزلت، لكن لم يثبت أن اقتطاعها أو كتابتها في حرز يعقد ألسنة الأعداء أو يمنع ضررهم. وهذا الاستخدام قريب من كتب الحروف والأوفاق، التي تحول الحروف القرآنية إلى رموز ترتبط بالأعداد والأيام والخواص الخفية.

٧ - عقد الألسنة وجلب المحبة: تطلب الرسالة عقد ألسنة الخلق والخصوم، وتقدم الحرز وسيلة لجلب محبة جميع الناس لحامله. وهذا لا يشبه الدعاء المشروع بكفاية شر الظالم، بل يشبه أعمال السحرة المعروفة بـ «عقد اللسان» و«العطف»، التي يراد بها التحكم في إرادة الآخرين ومشاعرهم.

ولا يجوز تحويل القرآن إلى وسيلة لإسكات الناس أو السيطرة على قلوبهم، فالقلوب بيد الله، ولا يملك الإنسان إخضاع غيره بالأحراز والطلاسم.

٨- تعليق الحرز للزواج والشفاء: توصي الرسالة المرأة التي تأخر زواجها بتعليق الحرز في شعرها، وتعدها بأن الخطّاب سيأتونها من كل جانب. كما تربط علاج الصرع والرعاف والحمى والسموم بوضع الورقة على أعضاء الجسد. والدعاء والرقية لا إشكال فيهما، لكن الإشكال في جعل الورقة نفسها سببًا للشفاء والزواج.

ولا يزال هذا حاضرًا في سوق «العلاج الروحاني»، حيث تستغل حاجة النساء والمرضى لإقناعهم بشراء أحجبة وأوراق لفك السحر أو تعطيل الزواج، وقد يؤدي ذلك إلى الابتزاز أو تأخير العلاج الطبي الضروري.

لماذا تمثل الرسالة غلوًا صوفيًا؟

يظهر الغلو فيها في عدة جوانب:

- الغلو في النبي ﷺ بنسبة آثار كونية إليه.

- الغلو في الوسائط والأشخاص والأماكن.
- الغلو في خواص القرآن والحروف.
- ادعاء معرفة أسرار لا يعرفها إلا أصحاب الطرق.
- جعل التجربة والحكاية دليلًا على صحة الأحراز.
- ربط حاجة الناس بالشيخ أو صاحب السر.

فالرسالة لا تقدم القرآن بوصفه هداية، وإنما بوصفه مصدر قوى خفية يملك صاحب الحرز طريقة استخدامها، وبذلك تتحول السلطة الدينية من العلم بالوحي إلى امتلاك الأسرار.

الفرق بين الرقية الشرعية والحرز:

الرقية الشرعية

- تكون بالقرآن والأدعية الصحيحة.
- تكون ألفاظها معلومة.
- تخلو من الشرك والطلاسم.
- يكون الاعتقاد أن الله وحده هو الشافي.
- لا تتضمن التحكم في الناس.
- لا تمنع من العلاج الطبي.
- تكون بالقراءة والدعاء والنفث.

أما الحرز الوارد في الرسالة

- يخلط القرآن بألفاظ غامضة.
- ينسب إلى السور والحروف خواص بلا دليل.
- يعتمد على التعليق والحمل.
- يتضمن عقد الألسنة وجلب المحبة.
- يعِد بالزواج والرزق والحفظ والتجارة.
- يكثر من الوسائط والأقسام.
- يشتمل على غلو في مقام النبي ﷺ.

ولذلك لا يصح الدفاع عنه لمجرد اشتماله على آيات وأسماء سور؛ فالقرآن حق، لكن استعماله قد يكون مشروعًا أو مبتدعًا.

الرسالة والتصوف المعاصر: ما زالت ثقافة هذه الرسالة حاضرة في واقع التصوف بصور مختلفة، مثل:

- أوراد بأعداد مخصوصة بلا دليل.
- كتابة الحروف في مربعات وأوفاق.
- أحجبة للرزق والزواج.
- أعمال لجلب الحبيب وعقد اللسان.
- استخدام البخور لفك السحر.
- تكرار الحروف المقطعة لقضاء الحاجات.
- ادعاء معرفة أسرار اسم الله الأعظم.
- بيع الأحراز باسم البركة والمدد.

وتعتمد هذه الممارسات على مزج قداسة القرآن بمحبة النبي والأولياء وخوف الناس من المرض والسحر والفقر وتأخر الزواج. ثم يقدم الشيخ أو المعالج نفسه باعتباره صاحب السر القادر على حل هذه المشكلات، فتتحول الحاجة الدينية إلى سوق، والخوف إلى وسيلة للسيطرة والاستغلال. ونقد هذه الممارسات ليس نقدًا للقرآن، بل دفاع عنه من تحويله إلى أداة للكهانة والشعوذة.

الحكم المنهجي على الرسالة: تجمع الرسالة بين:

- أدعية صحيحة.
- توسلات محدثة.
- غلو في مقام النبي ﷺ.
- تمائم وأحراز ممنوعة.
- ألفاظ مجهولة.
- دعاوى غيبية بلا دليل.
- ممارسات تشبه السحر في العطف وعقد الألسنة.

ويجب التفريق بين الحكم على الفعل والحكم على الشخص؛ فمن اعتقد أن الحرز يؤثر بذاته وقع في الشرك الأكبر، ومن اعتقد أن الله هو المؤثر لكنه جعل الحرز سببًا بلا دليل وقع في الشرك الأصغر والبدعة. أما الجاهل الذي ظن أن النص دعاء مشروع، فيبين له الحق ولا يتعجل في الحكم عليه.

خاتمة:

تكشف رسالة «**الدعاء بأسماء سور القرآن الكريم**» عن اختلاط الدعاء بالأحراز، والقرآن بالطلاسم، والتوسل بالغلو، والرقية بمحاولة التحكم في الناس والأحداث.

فهي تبدأ بالثناء على الله والصلاة على النبي، لكنها تنتهي إلى حرز يعلق في الشعر، ويوضع على الجسد والطعام، ويحمل للسفر والتجارة، ويطلب به الزواج والرزق والشفاء وعقد الألسنة وجلب المحبة.

وأخطر ما فيها أنها تغلف الانحراف بألفاظ مقدسة، فيصعب على القارئ التفريق بين القرآن المنزل والطريقة المبتدعة في استعماله.

والطريق المشروع أوضح: دعاء الله مباشرة، وقراءة القرآن تدبرًا واستشفاءً، والالتزام بالأذكار الصحيحة، والأخذ بالأسباب الطبية والمادية، واليقين بأن النفع والضر والشفاء والرزق بيد الله وحده.

فالتوحيد لا يحتاج إلى حرز، والقرآن لا يحتاج إلى طلاسم، ومحبة النبي ﷺ لا تحتاج إلى غلو.